يبدو لي اننا مقبلون في هذه الندوة على الاشتباك مع بديهية صارت مرشحة للانقلاب ، وهي : استحالة دراسة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط خارج معادلة الصراع . سنرى ان برميل النفط ، وعود الثقاب الذي يهدده ، والآلة العسكرية الاسرائيلية التي تحميه ، وزجاجة الكوكا كولا التي ترطب العاملين حوله ، هو المفهوم الاميركي لهذا الشرق .

وسنواجه وهما اخر يتعلق بطبيعة العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ـ اليهودية ، التي يفهمها عرب اميركا بطريقة تطمح الى ابتزاز تعاطفنا مع العجز الاميركي . اذ ما زال الكثيرون من المسؤولين العرب يصوغون سياستهم تحت ضغط المفهوم القائل ان اميركا هي ضحية الصهيونية وان على العرب ان ينقذوا اميركا البريئة من الشيطان اليهودي بتقديم كافة التسهيلات لها والتراجعات امامها ، لكي يسلبوا اسرائيل دورها في ضمان امن المصالح الاميركية التي يبدو انها لم تعد مصالح عربية ! اي ان نتحول عن عملية صياغة استقلالنا الوطني ، وان ننزع عن الثروة العربية حافزها السياسي ، ونتحول الى منافسين اذلاء للطريقة التي كسبت فيها اسرائيل حب اميركا !

اريد ان اؤكد مرة اخرى اننا لا ندرس السياسة الاميركية ومقومات القرار الاميركي من اجل الترف ، او من اجل البرهنة على ان المدروس يستطيع ان يدرس دارسه ، فان معرفة المحكوم بالاعدام لحبل المشنقة ولطريقة عملها لا تدمر الجلاد . نحن ندرس من اجل متطلبات الصراع ، من اجل ان تتسلح جماهيرنا بالمعرفة الدقيقة لطبيعة المعركة والقوى التي تخوضها في داخل مجتمعاتها ، وعلى حدود اوطانها .

واستطيع ان اؤكد ان هذه الجماهير لا ترى اميركا فقط في القاذفات التي تزورها يوميا ، بل تراها ايضا في محاولات عملية استبدال اعدائها الحقيقيين باعداء وهميين .

وتراها في علاقة الرعاة السياسيين بالرعية ، في علاقات البطش التي تحاول طرد الناس كليا من ذاتها ومن مجتمعها ومن فلسطينها ،

وتراها في المشانق المنصوبة تحت كل حنجرة تتاهب للاحتجاج على سجن بلا محاكمة ، وفي مواجهة كل حلم بسيط برغيف مصنوع من الدقيق العادي ، لا من المهانة ،

وتراها في تغييب وعي الامن القومي ، واستبداله بالامن القطري ، او العشائري ، وفي ترجمة هذا الامن الى معنى واحد هو امن الحاكم والحاشية ،

وتراها في شبق الاستهلاك الملخص بزجاجة الكولا وبنطلون الجينز اللذين حولتهما سيادة قيم الاستهلاك المعقيدة ، .

وتراها هنا ، لا تهدد بالاحتلال المحتمل ، بل ترى الاحتلال وقد خيم ،

وتراها هنا . فان اميركا ليست خطرا قادما ، وانما هي وجود قائم ...

محمود درويش